تاريخ الفلسفة
إله أرسطو 12
بقلم الدكتور آرثر هولمز من كلية ويتون

والآن، دعونا نعود، إن شئتم، إلى تصور أرسطو عن الله .لقد انتقلنا إلى هذا الموضوع، كما فعل هو، بعد مناقشة ميتافيزيقاه، مشيرين إلى كيف أن كل نوع من أنواع الوجود، وكل نوع من أنواع عمليات التغيير أو الصيرورة، يجب تفسير ذلك من خلال أربعة عوامل أو أربعة أسباب .ليس فقط المادة أو السبب المادي الذي يخضع للتغيير، وليس فقط السبب الفاعل الذي يمارس القوة، بل السبب الصوري، أي الطبيعة الجوهرية لما يحدث، والسبب النهائي، أي الغاية.

إذا كان هذا ينطبق على كل عملية تغيير وكل ما هو موجود، فهو ينطبق أيضاً على كل نوع من أنواع الحركة داخل الكون الفسيح .وبالتالي، فهو لا ينطبق فقط على التغيرات التي تحدث على الأرض، بل ينطبق أيضاً على ،دوران الكواكب، وعلى تلك النجوم الثابتة على أطراف الكون، التي يدور كل منها حول محوره .بعبارة أخرى ينطبق هذا على الكون برمته، فحركته الدائمة، حركته المكانية، حركته الدائرية، دورانه، دورانه، لا بد أن يكون له تفسير سببي كافٍ.

تتجلى الطبيعة المادية للأشياء من خلال عناصرها الأساسية، بالإضافة إلى الأثير الذي يملأ الفراغ بين المحيط الخارجي للأشياء والكواكب .السبب المادي موجود .أما السبب الفاعل في الكون فهو واضح جليّ.

إن حركة تلك النجوم الثابتة هي التي تُحدث تغيرات في الأثير، وهي التي تحافظ على دوران الكواكب، وهي التي تحافظ على تغيرات الغلاف الجوي للأرض، وهي التي تحافظ على عمليات التغير على الأرض .لذا، فإن السبب الفاعل يسري في كل شيء .أما السبب الصوري فهو متأصل في طبيعة الأشياء ، بما في ذلك طبيعة النجوم الثابتة، لأن الدوران جزء لا يتجزأ من طبيعتها.

إذا كان هذا الدوران، بطريقة أو بأخرى، ليس مجرد قوة كامنة، بل شيء مُتحقق، فما الذي يُحافظ على هذا الواقع لحركة الكون، ويُختزلها إلى السبب الفاعل الأبعد، ألا وهو حركة النجوم الثابتة؟ ما الذي يُحافظ على ذلك؟ وتذكرون الاستنتاج الذي توصل إليه، وهو أنه وراء حدود الكون، يوجد مُحركٌ لا يتحرك .النجوم الثابتة تتحرك .المُحرك الذي لا يتحرك لا يتحرك، بل يُحرك الأشياء التي تتحرك.

،هو في حد ذاته لا يتغير، ولكنه السبب الرئيسي لكل أنواع التغيير .وذلك بفضل تأثيره على تلك النجوم الثابتة التي تُعدّ السبب الخارجي الفعال لكل ما يحدث في الكون .هل استوعبت الفكرة من المرة الماضية؟ الأمر بسيط بما يكفي .

لكن بمجرد أن تدرك وجهة نظره حول الكون الجيومركزي، والكواكب التي تدور حول الأرض، والنجوم الثابتة ،على المحيط هنا، كل نجم يدور حول محوره الخاص بعيدًا عن المحرك الأول .كل شيء آخر متحرك باستثناء المحرك الأول .لا تغيير، ولا قوى تؤثر عليه.

،هذه هي الصورة التي يرسمها .وفي بقية الكتاب الثاني عشر من كتاب الميتافيزيقا ، الفصل السادس وما يليه يتناول جانبًا أو آخر من هذه الصورة .وقد أُجريت دراسات نقدية أدبية متنوعة حول البنية الأدبية للكتاب الثاني عشر.

هل كُتب كل شيء دفعة واحدة؟ أم أنه مجموعة من الأفكار المُجمّعة؟ هل هو أرسطي حقًا؟ كما تعلم، تلك الأمور التي يقوم بها النقد الأدبي .حسنًا، كل هذا الكلام دار حول الكتاب الثاني عشر .لكن هناك الصورة، على .الأقل، التي نُقلت على أنها من أرسطو، وأميل إلى الاعتقاد بأنها كذلك

توجد شهادات أكثر اتساقًا في المخطوطات والنسخ تُشير إلى أن هذا النص من تأليف أرسطو، مقارنةً بالعديد من الأدبيات القديمة .لكن في الفصل السادس، الصفحتين 373 و374 من مختارات كوفمان، يُسهب في هذا التأكيد على أن هذا الإله هو المُحرِّك الأول .ويستنتج من ذلك دلالةً أخرى مفادها أن المُحرِّك الأول هو .الحقيقة المطلقة

الآن، أنت على دراية كافية بمصطلحي الإمكانية والواقعية لتفهم مغزى هذا الكلام .فبالنسبة لأرسطو، كل .تغيير هو تحقيق لإمكانية ما .إنه تحقيق لإمكانية ما

ربما أكون هنا، والآن أُحقق هذا الاحتمال .ربما أكون خلف المنصة، والآن أُحقق هذا الاحتمال .كل عملية .تغيير هي تحقيق لإمكانات كامنة في الشيء

لكن القول بأن الله هو الحقيقة المطلقة يعني أنه لا وجود لإمكانية غير محققة .أترى ؟ لا وجود لإمكانية غير .محققة .لا تغيير ممكن في الله

.لا تغيير ممكن .المصدر الأزلي للتغيير، الذي لا يتبدل ولا يتغير .المحرك الذي لا يتبدل، الحقيقة المطلقة

هذا أمرٌ بالغ الأهمية .لماذا يسلك هذا الطريق؟ حسنًا، أعتقد أن أحد الأسباب هو أنه عندما تنظر إلى المستقبل، من المفيد دائمًا قراءة الصفحة الأخيرة، الفصل الأخير من الرواية .عندما تنظر إلى المستقبل وترى .إلى أين سينتهي به الأمر، ستجد أن هذا الإله خيرٌ محض

وإذا كان كل شيء جيدًا، فلا مجال للتحسين .وإذا كان كل شيء جيدًا، فلن يتغير نحو الأسوأ .إذن، كيف يمكن أن يحدث تغيير ، كما ترى؟ لذا، إذا نظرنا إلى المستقبل، حسنًا، كما في مفهوم أفلاطون للخير، فإن .التغيير، بهذا المعنى، غير ممكن

لكن الأهم من ذلك، في رأيي، هو أنه في حجته حول طبيعة الكون، يحاول تفسير عملية التغيير الأزلية، تلك ،العملية التي لا تتغير على مر العصور .تذكرون، فيما يتعلق بأنواع الحركة المختلفة، الخطية، والمستقيمة والدائرية، أن هناك عملية حركة واحدة ثابتة، وهي الحركة الدائرية، التي ليس لها بداية ولا نهاية .لا توجد .نقطة تحول حيث يجب التوقف والانعطاف

لكنها حركة دائرية دائمة تميز الكواكب والنجوم الثابتة .لذا، فأنت تبحث عن شيء ما باعتباره السبب النهائي لما له طبيعة ثابتة .وأن يكون له طبيعة ثابتة تمامًا يعني أن يكون الشيء إما لا شيء، حتى بدون إمكانية، أو .حقيقة مطلقة

حقيقة مطلقة بلا إمكانات كامنة، بحيث لا مجال للتغيير .بالطبع، رأى أفلاطون مُثُله المتعالية محصنة من . أي تغيير، أبدية، وكذلك مثال الخير .نعم، لدى أرسطو مثال الخير

لكن فكرة وجود إله فوق كل تغيير متأصلة في فكر أفلاطون وأرسطو .أليس كذلك؟ ربما أسيء فهم مفهوم الوجود، لأنه يبدو أنه إذا كان الله موجودًا بالكامل، فلا بد أنه أتى من مكان ما، وتطور إلى وجود كامل ...لا، لم .أفعل .نعم، لاحظ أنه يقول "غير متحرك"، أي أنه لم تحدث أي حركة

.إذن، الأبدي هو من كان دائمًا على ما هو عليه .حسنًا، الحقيقة المطلقة .أجل

حسناً؟ في هذا السياق، قلتَ إنه إما أن يكون لا شيء أو أن يكون حقيقةً مُطلقة .هل هذا هو نفسه، أو شيءٌ .مُشابه؟ إما أن يكون لا شيء أو كل شيء .أجل، إما أن يكون كاملاً أو لا شيء على الإطلاق .حسناً

أجل .هل هذه فكرة وحدة الوجود، أي أنه كل شيء؟ ليس بالضرورة .سأل أحدهم في المرة الماضية، بعد الدرس، أو ربما قبله، هل كان أرسطو ذا نزعة وحدة الوجود؟ عند قراءة الكتاب الثاني عشر من كتاب .الميتافيزيقا، يبدو أن المحرك الأول هو كائن متعالٍ، ولكنه كمال الوجود

يتحدث عن النفس، عن نفس عاقلة، ليس ،(De Anima) "لكنني أقول ذلك بتردد، لأنه في كتابه "دي أنيما ، فقط عن النفوس العاقلة الفردية، بل يتحدث كما لو أن هناك نفسًا عاقلة كونية .مثل أناكسغوراس، الحبل العقل، المنطق .الآن، إذا كان يقصد تعريف ذلك بالمحرك الأول، فهل فهمت قصده؟ سيبدو الأمر كما لو أن .هذه إما نفس العالم الأفلاطونية أو المحرك الأول، وربما هو نفسه

لكنه لم يذكر في أيٍّ من المؤلفات التي نجت أيّ صلة بين الاثنين .لذا يبقى الأمر غامضًا .لكن على الأقل، كان .تأثيره على من اتبعوا التراث الأرسطي أقرب إلى التوجهات الإلهية والربوبية منه إلى التوجهات الوحدوية

مع ذلك، يا كريستين، لاحظي أن إله أرسطو هذا ليس خالقًا بالمعنى الحرفي .فهو ليس خالقًا، على الأقل ليس بالمعنى اليهودي المسيحي، حيث يُفترض أن فعل الخلق يُوجد الأشياء .بل هو يخلق من العدم أشياءً .موجودة

هو الذي يُعطي الوجود للأشياء .أما إله أرسطو، فليس كذلك .فهو يُوضح ذلك جليًا، ويُفصّله في الفصل السابع، أو ربما في الفصل الثامن، مُبينًا أن هذا الإله ليس علة فاعلة، ولا يملك قوة، ولا يُمارس تأثيرًا، وليس .هو العلة الفاعلة المُحركة لأي شيء

.لا يفرض الأمور على الآخرين .ولا يجبرهم على الوجود .وهكذا دواليك

في الحقيقة، ليس بحاجة إلى ذلك .لأن الكون، أو على الأقل مواد الكون، كانت موجودة دائمًا .كانت العناصر .المادية عند الإغريق أزلية، أبدية

لطالما كان الأمر كذلك .ويوحي أرسطو بأن الكون وبنيته العامة أبديان .ففي نهاية المطاف، تتمتع تلك النجوم .الثابتة بحركة خطية أبدية

.أبدي، أبدي، كان كذلك وسيبقى كذلك .كما ترى، فإن مفهومي الأبدية والخلود متطابقان تقريباً عند أرسطو

إذن، كل ما تحتاجه في هذا الإله هو من بفضله تستمر الحركة .تستمر بلا انقطاع .هذه الحركة الدائرية .الأبدية

أما إذا فكرنا بمنطق الفيزياء الحديثة، فبفضل مبدأ القصور الذاتي، يكاد يكون ذلك غير ضروري .فالأجسام تستمر في حالة الحركة أو السكون، وهي حالتها الطبيعية .لكن الأمر ليس كذلك في الفيزياء اليونانية، حيث .يُنظر إلى التغيير على أنه أمر مصطنع

الحركة شيءٌ يجب إنتاجه والحفاظ عليه .ولذلك ، لا بد من وجود كائنٍ يحافظ على الحركة الدائمة، ولكن .ليس كسببٍ فاعل

.لماذا لا؟ حسنًا، هناك سبب آخر .لكي تكون قضية فعّالة، عليك أن تفعل شيئًا ما .أن تمارس القوة

وعند بذل القوة، فإنك تمر بعملية تغيير، تنتقل من حالة عدم بذل القوة إلى حالة بذلها .وإذا لم يحدث .تغيير، فلن يكون هناك بذل للقوة

إذن، لا يوجد سبب فاعل .فكيف سيشرح ذلك؟ حسنًا، الجواب بالطبع هو من منظور السبب الغائي .الله .هو السبب الغائي، لكنه ليس السبب الفاعل

وهو واضحٌ جدًا في ذلك .الله هو الغاية النهائية، وليس الغاية الفاعلة .لذا فإن طبيعة هذا المحرك الذي لا .يتحرك مذهلةٌ ورائعةٌ للغاية، لدرجة أن الأشياء تتحرك من فرط الدهشة

لاحظ كيف يؤثر فيك مصطلح "رائع "ويجعلك تتأمله .أوه، إنه لا يستخدم مصطلح "رائع "فحسب، بل .يستخدم مصطلح "حب ."إنه يحرك المشاعر بالحب

الرغبة في أن تكون مثله .هذه هي فكرة غريغيرو ، كما ترى .من خلال الرغبة في أن تكون محققاً لذاتك، فإنك .تستمر في تحقيق الحركة

،ولكي يتحدث عن حب النجوم، عليه أن ينسب إليها شيئًا يتجاوز مجرد المادة الجامدة .ففي نهاية المطاف من بين الإغريق، لم يكن هناك سوى شخص واحد مثل ديموقريطس، الذري، الذي اعتبر المادة جامدة .أما .البقية، فقد اتفقوا جميعًا، بشكل أو بآخر، مع طاليس على أن العالم حيّ، كما ترى

مفهوم أكثر عضوية، إن صح التعبير .كون حي .ولذا، فإن أرواح النجوم الثابتة تتوق إلى أن تكون على هذا .النحو، وهو ما يثير دهشتها

أما إن كان يقصد أن أرواح النجوم الثابتة واعية، فهذا سؤال آخر .ففي النهاية، تتحرك كائنات حية كثيرة دون .وعي منها .كيف عرفت بصيلات النرجس متى تُزهر؟ وهي مدفونة في التراب كما هي

حسناً، إن شئت، فهو يرى شيئاً مشابهاً لذلك .وهكذا تستمر النجوم في حركتها .والله هو ببساطة السبب .النهائي

.والآن، ثمة نتيجة أخرى لا بد من استخلاصها .وهو يفعل ذلك في الفصل التاسع .هذا هو الفصل السادس ،دعونا نرى، هل فهمتُ الأمر بشكل صحيح؟ الفصل السادس، الفصل السابع .دعونا نرى، دعونا نرى .نعم .الرقم 6 هو الواقع بعينه

٧ هو السبب النهائي، معذرةً .دعونا نوضح ذلك .الفصل ٦، الفصل ٧، الفصل ٩ .الفصل ٨ يُقدّم ببساطة .تفاصيل علم الكونيات والنجوم الثابتة وما إلى ذلك

لكن الفصل التاسع .حسنًا، إذا كان هذا الكائن الإلهي هو الوجود المطلق، هذا المحرك الذي لا يتحرك، هذه الغاية النهائية، لا يحتاج إلى فعل أي شيء، فكيف ستصف وجوده؟ وصفه ببساطة أنه لا يفعل شيئًا سوى التفكير في تفكيره الخاص .الآن، أنت تعرف ما هو التفكير الذاتي .أن تتأمل، وتفكر، وتتأمل في أفكارك .الخاصة، وتتمعن فيها، وتستمتع بها، وما إلى ذلك

لكن لماذا هذا فقط؟ حسنًا، ببساطة لأنه لو كان هذا الكائن غير المتحرك يتلقى مدخلات حسية أو أي نوع آخر من المدخلات الخارجية إلى تفكيره، لكان سيتأثر بتلك المحفزات الخارجية ويفكر في أمور معينة .ولأنه كائن غير متحرك، واقع محض، فلا شيء لم يتحقق أو يمكن أن يتحقق .لذا لا توجد مدخلات خارجية إلى .تفكيره

إنه لا يرى سقوط العصفور .وهكذا دواليك .ولو كان يبتكر أفكارًا جديدة تمامًا، ويخلق عوالم خيالية، لكان .هناك نشاطٌ جارٍ لم يسبق له مثيل

أترى ؟ سيكون هناك إمكانات غير مستغلة أيضًا .لذا، فإن النشاط الذهني الوحيد الذي يمكن أن يمارسه .المحرك غير المتحرك هو الوعي الذاتي، أي التأمل في أفكاره

.يفكر في أفكاره الخاصة .فهو يعرف أفكاره جيداً طوال الوقت، ولا يجد فيها أي جديد

.لكن بالتفكير في تفكيره الخاص .الآن، كائن كهذا، لا مجال فيه لعدم تحققه، هو خيرٌ مطلق .خيرٌ مطلق

.لأن الخير لأي كائن حي هو تحقيق إمكاناته .بالنسبة للكلب، أن يكون جيدًا يعني أن يكون أفضل كلب ممكن .وبفضل إمكاناته يصبح الكلب هو ما هو عليه

هذا كل ما في الأمر .أن تكون طالبًا جيدًا يعني أن تُحقق أقصى استفادة من قدراتك كطالب، وأن تبقى على .طبيعتك كإنسان .تحقيق هذه القدرات هو مصلحتك

.وهكذا، فإن من هو الحقيقة المطلقة، هو الخير المطلق .لا عيوب فيه .لا تجاعيد

.لا نقص .لا حرمان من الخير .وهكذا تحصل على إله أرسطو

إذا شئت، فهذه محاولة كلاسيكية مبكرة لما نسميه اللاهوت الطبيعي .لاهوت قائم على استنتاجات مما .نعرفه عن الطبيعة

نعم .وهو يُشكّل الإطار الأساسي الذي بُنيت عليه الكثير من اللاهوت اليهودي المسيحي والإسلامي والطبيعي .اللاحق .كما سنرى عند تناولنا لحجج توما الأكويني الكلاسيكية لإثبات وجود الله

العمل وفق هذا النوع من المخططات .تم تعديله ليناسب عقيدة الخلق .لكن اللاهوت الطبيعي الذي يتبعه .توما الأكويني هو نفس نوع التفكير الذي يجري هنا

حسنًا، هل لديكم أسئلة أو تعليقات؟ نعم .بوب، كيف يُصبح الإنسان مُحققًا لذاته؟ هل يُمكن أن يُصبح مثل .الله؟ نعم، سأتطرق إلى أخلاقياته قريبًا

لكن من المؤكد أن تحقيق الذات البشرية يكون على صورة الله .وأسمى ما يمكننا فعله، بحسب أرسطو، هو .التأمل في الله .أجل

إذن أنت تسير على الطريق الصحيح في استخلاص النتائج .هل تقصد بصيلات الزهور التي كنت تتحدث ،عنها؟ لكي يتحقق ذلك، ألا يجب أن يكون لديهم طريقة ما لمعرفة المحرك الأول؟ أعني، مثلاً، في أعماقهم .ليكونوا جزءاً من الشعور بالدهشة .أجل، إنه ليس تشبيهاً جيداً

إنها كالي، أليس كذلك؟ ليس تشبيه المصابيح دقيقًا تمامًا .كان الهدف من التشبيه، كما استخدمته، هو .القول إن المصابيح لا واعية .ومع ذلك، بطريقة أو بأخرى، تستجيب

،هذا هو سؤالي .ماذا سيقول أرسطو عن ذلك؟ أعني، إذا لم تكن روح الشيء الداخلي، كالبصلة أو الساق واعية، فبأي فضل تتساءل؟ حسنًا، هل يقصد الدهشة الواعية؟ أترى ؟ هل يقصد الحب الواعي؟ الرغبة الواعية؟ أم أنه يقصد ببساطة وجود ميل طبيعي؟ أترى ؟ ميل طبيعي نحو نوع من النشاط متأصل في تلك .الأشياء .لقد أوضح جليًا أنه ليس من الضروري أن ننسب الوعي إلى جميع العمليات الغائية

إنّ المنهج الغائي يتجه نحو الغايات النهائية .كلا، بل إنه يصرّ على ذلك بنفس القدر في قسم الطبيعة من .كتاب الفيزياء الذي كنت تقرأه

وهو يصرّ بنفس القدر على أن الغايات النهائية تعمل في كل عملية طبيعية .يوجد بعض الوعي لدى البشر وإلى .حد ما لدى الحيوانات، ولكن بخلاف ذلك، هناك غياب للوعي .ومع ذلك، لا تزال الغايات النهائية موجودة

لماذا؟ حسنًا، السبب النهائي متأصل في الشيء نفسه .فبسبب طبيعته، وشكله، كما ترى، يأتي محملاً بتلك .الإمكانية .بتلك النزعة، بذلك الدافع

أترى ؟ أتتذكر الصورة التي رسمها أفلاطون في كتاب طيماوس عن الله وهو يُدير الكون؟ ثم يتركه، فيبدأ بالانحلال؟ حسنًا، كأن أرسطو يقول إنه لم يكن بحاجة إلى إدارته أصلًا .لكنه لا ينحل أبدًا لأن الله يُواصل ممارسة نوع من الجذب المغناطيسي .أترى ؟ ألا يتطلب الحفاظ عليه استخدام القوة؟ كلا، ليس إذا كانت .العملية الطبيعية تمتلك قوة كافية في ذاتها، والتي، إذا ما تم تفعيلها وتوجيهها بشكل صحيح، تُنتج الخيرات

"كل ما عليك فعله هو تحرير ذلك .ديفيد؟ هل إله أرسطو إله صالح بالمعنى الذي نستخدم فيه كلمة "صالح كصفة؟ أم أنه "صالح "بمعناها الحرفي الكبير؟ نعم، هو يستخدمها كصفة، كما فعل أفلاطون، وكذلك .كاسم .ربما يكون سؤالك هو ما إذا كان يعني نوعًا من الكمال الميتافيزيقي

أم أنه يعني الكمال الأخلاقي؟ هل فهمت الفرق؟ الكمال الميتافيزيقي، أسمى أنواع الوجود .أترى ؟ حسنًا، هو .يقصد بالتأكيد الأول، الميتافيزيقي

والطريقة التي يتحدث بها في الفصل العاشر وفي موضع أو موضعين آخرين من كتاباته، أعتقد أنه يقصد المعنى الثاني، أي المعنى الأخلاقي .أعتقد أنه يقصد المعنى الثاني .كنتُ أنتقد سابقًا نظرة أرسطو إلى الله .بالقول إن مفهوم الله له وظائف متعددة

له وظيفة ميتافيزيقية في ترسيخ أو إكمال مخطط ميتافيزيقي .وهذا ما يفعله إله أرسطو بالتأكيد .كما أن .لمفهوم الله وظيفة أخلاقية، إذ يجسد المثل الأعلى للخير الأخلاقي

،الخير في الجوهر، وفي الشخصية، وفي الفعل .وقد ذكر أرسطو ما يكفي لأظن أنه يُلمّح إلى ذلك .في الواقع يبدو أن جميع اليونانيين يعتقدون أن ما هو خير ميتافيزيقي هو بالضرورة خير أخلاقي، إذا كانت القيمة .الأخلاقية متجذرة في الميتافيزيقا

أما الوظيفة الأخرى لمفهوم الإله، فهي بالطبع كونه موضع عبادة دينية، وموضع إخلاص ديني .وكنتُ أنتقد .أرسطو بالقول إن إلهه ليس موضع إخلاص ديني

لكن خلال العامين أو الثلاثة أعوام الماضية، وأنا أعيد قراءة أرسطو، لا أعتقد أن هذا صحيح .خذ مثلاً مصطلحات مثل العجب، والحب، والرغبة في أن نكون مثله، وستجد مفهوم محاكاة الله حاضراً .القول بأن .التأمل في الله هو أسمى ما نقوم به يبدو وكأنه كلام ديني بامتياز

وفي موضعٍ ما من كتاباته السياسية، يقول إن على الحكومة دعم المعابد الدينية وتمويلها .وكأن الدين، الذي يدعم الخير الأخلاقي، يصب في مصلحة الدولة، التي تتمثل وظيفتها في تحقيق حياة كريمة، وهي حياة كريمة .أخلاقياً، ويرى أرسطو أن الدين يدعم ذلك

،إذن، نعم، أعتقد أن إله أرسطو، كما هو مُقدَّم في الميتافيزيقا، سيؤدي وظيفة ميتافيزيقية في المقام الأول ولكنه لا يزال يحمل في فكره وظيفة أخلاقية ودينية .لذلك اضطررتُ إلى تغيير رأيي في هذا الشأن .أحد الأمور .التي تُقلقني بشأن هذا المُحرِّك الذي لا يتحرك هو الله

يبدو وجوده بلا معنى وسخيفاً بعض الشيء، فهو يجلس ويفكر في أفكاره فحسب .وربما يعود ذلك إلى نشأتي .في عصر مختلف، إذ يبدو أنه يفتقر إلى أي أساس أو مبرر للفضائل الرومانسية، كالعاطفة والحب

أجل، لست متأكدًا من أن كلمة "سخيف "هي الكلمة المناسبة .بعيد، منفصل، غير مبالٍ .كما تعلم، الله .يحبك ولديه خطة رائعة لحياتك

،لا، لا توجد قوانين روحية أربعة عند أرسطو .لا، ليس الأمر كذلك .أظن أنك قد ترغب في قول غير شخصي .بمعنى أنه لا يهتم بالأمر شخصياً

مع ذلك، إذا كان الفكر الواعي والشخصية الأخلاقية عنصرين أساسيين في تعريف الشخصية، فربما يبدو إله ،أرسطو، بحسب حديثه، شخصيًا بهذا المعنى .لكنه يبقى بعيدًا كل البعد عن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب .وأبعد ما يكون عن الإله المتجسد في يسوع المسيح

.أن يُحب ويُعطي نفسه .كلا، هذا أبعد ما يكون عن ذلك .كما هو الحال عادةً مع إله اللاهوت الطبيعي

في النهاية، إذا كنت تحاول استخلاص فهمٍ ما عن الله مما تعرفه عن النظام الطبيعي، فما الذي يخبرنا به رومية ١ أننا نستطيع معرفته، قدرته الأزلية وألوهيته؟ بالتأكيد، هناك حدودٌ لهذا .ويقول معظم من يحاولون .دراسة اللاهوت الطبيعي إن هناك الكثير والكثير مما يجب أن يُستقى من الأديان السماوية حول الله .والحقيقة أن أرسطو لم يكن راضيًا عن أديان عصره

أجل؟ عندما تحدثتَ عن إله الخمسة، وتجربة الخمسة، نعم، أنت مُصيب تمامًا .ترى، ماذا يحدث في تطور الفكر خلال الألف سنة القادمة؟ حسنًا، خلال السنتين أو الثلاث سنوات القادمة، أو بالأحرى خلال 500 ،سنة من أرسطو، يصبح موضوع كيفية ربط عالم المُثُل الأبدية، سواءً كانت مُثُل أفلاطون أو إله أرسطو بالعالم الطبيعي، بما نحن عليه وما نفعله، أمرًا بالغ الأهمية .أترى ؟ من السهل القول بوجود أنماط أبدية .يُمكن الاقتداء بها، بل وحتى إله يُمكن الاقتداء به

لكن أين يكمن تجلّي القوة في العالم الطبيعي أو في العالم البشري، في التاريخ، في حياة الإنسان؟ حسنًا، إنّ ما فتح هذا الاحتمال على مصراعيه هو دخول المفهوم اليهودي المسيحي لله بوصفه الخالق القدير إلى الفكر .اليوناني .والآن، يُعدّ قانون الإيمان الرسولي أحد أقدم الاعترافات المسيحية :أؤمن بالله الآب، الخالق القدير

.لا يمكن لأي يوناني أن يقول ذلك .ولا حتى أفلاطون .القدير؟ الخالق؟ أجل، الديميورج

لكن هل هو كلي القدرة؟ أترى ؟ لا، مباشرةً، أول سطر في قانون الإيمان الرسولي يؤكد أن الله هو السبب الفاعل للخلق .أترى ؟ يا للعجب، لقد كان ذلك ثوريًا !أترى ؟ حسنًا، سنتحدث عن ذلك لاحقًا .سيكون له .آثار بعيدة المدى على كل موضوع آخر

،يُثير ذلك صراعًا بين وجهات النظر العالمية في العصر الآبائي .المذهب الطبيعي، والثنائية، ووحدة الوجود .والإيمان اليهودي المسيحي .أجل

حسنًا .أحد الأشخاص الذين يُعتبرون من أتباع أرسطو اليوم، والذين كتبوا الكثير عنه، هو رجل يُدعى هنري .فيتش، الذي درّس لسنوات عديدة في جامعة إنديانا، ثم في جامعة جورجتاون، وهو الآن متقاعد .شخص رائع

هو مسيحي، وشخصٌ طيب القلب للغاية .لكنه يُشير، في حديثه عن إله أرسطو، إلى أن أرسطو يُخبرنا أن .الإنسان ليس مقياس كل شيء .الآلهة

وأظن أن الأمر يتطلب شخصًا مسيحيًا ليدرك ذلك ويقوله بهذه الصراحة .أجل، إن تذكرتَ السفسطائي الذي .قال إن الإنسان مقياس كل شيء .كلا، أرسطو يقول بوضوح إنه ليس كذلك

الله موجود .وهو يقول إن الغاية الأهم التي نسعى إليها في أعمالنا ليست أنفسنا، لأننا لسنا أهم الأشياء في .الكون .وهذا يقودنا إلى الآثار الأخلاقية، لكن الغاية الأسمى للإنسان ليست تحقيق ذاته

.مع أن الواقع، في العلاقة مع الله، قد يشهد تحققاً .لكن الله هو غايتنا العليا .أجل، يرى أرسطو هذا التوجه

حسنًا، لنرَ .أريد الآن الانتقال من ميتافيزيقا أرسطو، بما في ذلك لاهوته الطبيعي، إلى منطقه ونظرية المعرفة .لديه .وسيكون هذا موجزًا نسبيًا، لكنني أعتقد أنه في غاية الأهمية

تمهيداً، دعوني أشير إلى هذه النقطة :جُمعت كتابات أرسطو في المنطق ونظرية المعرفة من قِبل شُرّاحه وتلاميذه بعد وفاته، تحت عنوان عام هو "الأورغانون"، والذي يعني ببساطة المنهج .حسناً .وضمن .الأورغانون، ستجدون مجموعة متنوعة من الأعمال

. واحد يسمى التصنيفات .وتفسير آخر .وتحليلات سابقة أخرى

.ثم التحليلات اللاحقة .ثم المواضيع .وأخيراً، الردود السفسطائية

لدينا الآن في مختاراتنا مقتطفات قليلة من كتاب "التصنيفات "ومقتطفات قليلة من كتاب "التحليلات .اللاحقة . "لكن دعوني أشير فقط إلى الموضوع العام لكل منهما، حتى تتمكنوا من رؤية نطاق ما كان يفعله

.تتناول هذه التصنيفات كيفية عمل المصطلحات والكلمات في تفكيرنا .سأعود إلى هذا الموضوع بعد قليل .أما قسم "في التأويل "فيتناول منطق القضايا

ليست مصطلحات، بل قضايا .وكما تعلمون جيداً ، فإن القضية هي شيء يؤكد أو ينفي شيئاً ما .تأخذ القضية .الشكل التالي :الفاعل هو القضية أو ليس القضية، حيث الفاعل والمسند متصلان برابط

إسناد شيء ما إلى موضوع .إذن فهو يتحدث عن منطق القضايا في تفسيرنا .ويذهب كتاب التحليلات السابقة .خطوة أبعد ويتحدث عن منطق القياس المنطقي

.يتكون القياس المنطقي، بطبيعة الحال، من قضايا .والقضايا تتكون من حدود .كما ترى

عادةً، يتكون القياس المنطقي من مقدمة كبرى، ومقدمة صغرى، ونتيجة .من العلاقة المنطقية التي تُستنتج منها النتيجة، وهي قضية .لذا فهو يُطور مخططه المنطقي، ونظامه المنطقي، الذي استمر منذ ذلك اليوم .وحتى الآن

لا يزال المنطق الأرسطي هو المنطق الأساسي الذي يُدرّس في دورات المنطق، وهو أساسٌ لكثير من التطورات .المنطقية اللاحقة .في كتابه "التحليلات الثانية "، يتحدث أرسط عن ما يسميه الاستدلال العلمي

وهكذا نصل إلى مقدمتنا الأولى .كيف لنا أن نعرف أن مقدماتنا الأولى، أي المقدمات الأساسية، صحيحة؟ .هذا أمر في غاية الأهمية

في كتابه "المواضيع"، يتحدث عن الجدل .كان ذلك عملاً سابقاً كتبه قبل اكتشافه القياس المنطقي .لكنه .يتناول أنواعاً من الحجج الجدلية، القيّمة في المناظرات وما شابه

،يُستخدم في البلاغة .وكتاب "الردود السفسطائية "يتناول المغالطات المنطقية التي يرتكبها السفسطائيون .كما يعتقد، عن عمد .في ما يفعلونه

إذن، لديك في كتاب "الأورغانون "كتابٌ كاملٌ في المنطق .ولو لم يكن أسلوب كتابته مملاً للغاية، أو على الأقل قراءته مملة، لكان كتاباً جيداً في المنطق .والعديد من كتب مدخل المنطق تتبع هذا النمط من هيكلة .الفصول

أو شيء مشابه جدًا .الآن، أودّ أن أقول بضع كلمات عن التصنيفات .لأننا أشرنا إلى ذلك سابقًا، ولديكم .مجموعة مختارة من التصنيفات في الصفحة 282

.لخمس صفحات تقريبًا .وهناك قسمٌ أريدك أن تقرأه بعناية .في الواقع، إنه القسم الافتتاحي

.الاختيار .في مواد أرسطو .ويجب أن تشكرني لأني لم أبدأ مناقشتنا لأرسطو بهذا

أظن أنك كنت ستشعر بالإحباط، متسائلاً عن سبب أهمية هذا الأمر .وربما كنت ستشعر بالملل .وهكذا .دواليك

الميتافيزيقا أكثر إثارةً للاهتمام .لكن في التصنيفات، هناك عدة أمور أريدك أن تلاحظها .أحدها هو الطريقة .التي يستخدم بها مصطلحات مثل الأنواع والأجناس والاختلافات

،توجد اليوم مصطلحات معيارية في عصرنا .لكن أرسطو هو من أدخل هذا النوع من تصنيف الأشياء إلى أنواع .وتصنيف الأنواع إلى أجناس أكبر

.الجنس الواحد .والعائلات والمجموعات الأكبر وما إلى ذلك .لذا فهذه ببساطة طريقته في التصنيف

الفروق الجوهرية إلى الخصائص الأساسية التي تميز نوعًا عن آخر، والتي تميز جنسًا عن آخر .لذا، عندما .يتحدث أرسطو عن الإنسان كحيوان عاقل أو حيوان اجتماعي، فإنه يجمع بين الصفتين

ضمن جنس الحيوانات، ما يميز الإنسان هو العقلانية والتفاعل الاجتماعي .هذان هما العاملان المميزان .ما الذي يميز الإنسان عن باقي أنواع الحيوانات؟

هذه هي مصطلحاته .وستجد أن هذه المصطلحات مهمة عندما يسأل عن كيفية معرفتنا للمقدمات الأولى الصحيحة .لأنه ما لم تعرف الحقيقة حول جنس أو نوع معين، فلن تستطيع استنتاج أي شيء على الإطلاق .عن أي شيء آخر في ذلك الجنس أو النوع

أترى ؟ كيف يمكنك أن تجادل في الوجود ما لم تكن تعرف شيئًا عن طبيعته؟ كيف يمكنك أن تجادل في شأن البشر وما هو خير لهم أخلاقيًا ما لم تكن تعرف شيئًا عن خصائصهم؟ ما الذي يجعلهم بشرًا؟ أترى ؟ لذا ، لكي للحصول على المقدمات التي يحتاجها، عليه أن يصل إلى جوهر وطبيعة الأشياء التي سيناقشها .هذا هو الأمر الأول .ثانيًا، في الفصل الرابع، في الصفحة 283، يعود إلى التصنيفات المختلفة التي تعرفنا عليها في .البداية في الميتافيزيقا باعتبارها تصنيفات للوجود

،هنا فقط تُقدَّم هذه المصطلحات كفئات فكرية .ويُقدِّم بوضوح تامٍّ القائمة التي يريدها في الصفحة 283 الفصل الرابع، للأشياء التي تُقال منفردةً، كمصطلحاتٍ مستقلة .كل كلمةٍ تُشير إلى أحد هذين المعنيين؛ أي .كلمةٍ ستُشير إلى أحدهما

،إما الجوهر، أو الصفة، أو بعض الصفات، أو العلاقة، أو النسب، أو المكان ، أو الزمان، أو التواجد في موقع أو امتلاك شيء، أو القيام بشيء، أو التأثر به .هذه هي تصنيفات أرسطو .وخلاصة قوله، في الاستدلال .المنطقي، لا تنتقل من تصنيف إلى آخر في منتصف النقاش

أرأيت ؟ في القرن العشرين، بدأ بعض الفلاسفة البريطانيين في خمسينيات القرن الماضي باتهام الناس بارتكاب أخطاء في التصنيف .خطأ التصنيف هو أن تُغيّر التصنيف أثناء النقاش .والمثال الكلاسيكي على ذلك هو ،عندما وصف جيلبرت رايل ثنائية ديكارت بين العقل والجسد، أي وجود كيانين منفصلين، العقل والجسد .بأنها خطأ في التصنيف

الجسد، بطبيعة الحال، مادة .هذا هو التصنيف الصحيح .لكن الحديث عن العقل كمادة، كشيء، بدلاً من .كونه مجرد صفة أو وظيفة، هو خطأ في التصنيف

وهكذا، تنشأ مشكلة العقل والجسد برمتها من خطأ في التصنيف، وفقًا لجيلبرت رايل .يحرص أرسطو على الحفاظ على المعنى نفسه للمصطلحات في سلسلة الحجج، بدلًا من تبديلها والخلط بينها .وقد سمع بعضكم .من قبل مثالي المفضل على ذلك

.الأمر كالتالي :أنا أحبك، لذلك أنا عاشق .العالم كله يحب العاشق

أنتَ كل شيء بالنسبة لي؛ أنتَ تُحبني .الآن، يا رفاق، هذا لا يُجدي نفعًا، لا منطقيًا ولا بأي طريقة أخرى .لكن لاحظوا مغالطة التورية، استخدام كلمة واحدة بمعنيين مختلفين، وهي متضمنة في هذا المصطلح، وتعمل .ككلمة واحدة، كل شيء

العالم كله يحب الحبيب، تعميم تجريبي .أنتِ كل العالم بالنسبة لي، حكم قيمي .حسناً؟ أما الثاني فهو .مصطلح قيمي

.الأول مصطلح يتعلق بالمادة .خطأ في التصنيف .حسناً؟ تصنيفات مربكة

هذا هو نوع الخطأ الذي يسعى لتجنبه، إذ يوضح أنه إذا أردنا أن يظل الحد الأوسط في القياس المنطقي، أي الرابط بين القضايا، ثابتًا، فيجب أن يحمل المعنى نفسه في كلتا الحالتين .لا يمكن تغيير التصنيفات .لذا، يُعدّ إدخال هذه التصنيفات جزءًا من أدواته المنطقية.

ثم، في الفصل الخامس، يعود إلى معنيين لكلمة "مادة ."هل تتذكر ذلك؟ المادة الأولية والمادة الثانوية .وفي حال نسيتم ذلك منذ الأسبوع الماضي، فإن المواد الأولية هي الجزئيات، والمواد الثانوية هي الصور.

إذن، هو يقوم بهذا النوع من العمل، حيث يُهيئ ويُفصّل التمييز بين المادة الأولية والثانوية في المادة التي لدينا من التصنيفات .الآن، ما أريد التركيز عليه حقًا هو التحليل اللاحق .وهذا أمرٌ بالغ الأهمية.

بل والأهم من ذلك، دعوني أكررها بإيجاز، ثم نتناولها بمزيد من التفصيل في المرة القادمة .تكمن المشكلة التي يواجهها في كيفية معرفة الحقائق الثابتة يقيناً، حقائق ثابتة حول فئات الأشياء، حقائق عامة.

من البديهي أنه إذا أردت معرفة حقيقة عامة عن نوع ما، فعليك أن تعرف شيئًا عن طبيعته الجوهرية .إنها خصائصه المميزة .إنها جوهره.

إنها الشكل .لذا، السؤال الحقيقي هو :كيف يمكنك معرفة الأشكال؟ كيف يمكنك معرفة الأشكال؟ لأنك تريد أن تتمحور مقدماتك حول الأشكال، حول الطبيعة الجوهرية للشيء.

من أجل استخلاص استنتاجات أخرى تتبعها نفس درجة اليقين .الآن، يُجري تغييرات على الاحتمالات .هل يمكننا معرفة الأشكال بمجرد الملاحظة الحسية؟ لا، لماذا؟ نعم، الملاحظة الحسية لا تُعطينا سوى تفاصيل، وإدراك التفاصيل الحسية نسبي لزاوية الرؤية واعتبارات أخرى لا حصر لها.

إذن، لا تُخبرك الملاحظة الحسية عن المُثُل .ماذا عن المعرفة الفطرية؟ اقتراح أفلاطون .حسنًا، كما ترى، كان ذلك خيارًا جيدًا بالنسبة لأفلاطون.

أحسنت يا أفلاطون .فإذا كانت المُثُل متعالية، وكنتَ تعرفها في عالم آخر في وجود سابق، بحيث تبقى ذكراها كامنة في عقلك الباطن، فهي إذًا فطرية .أحسنت يا أفلاطون.

لكن أرسطو لا يعتقد أن المُثُل متعالية، ولا يعتقد أن المرء كان له وجود سابق حين عرفها .لذا، فإن المعرفة الفطرية عند أفلاطون لا تُجدي نفعًا .فلو كانت فطرية، لتوقعنا أن يعرفها الناس، لكنهم لا يعرفونها.

إذن كيف يمكننا معرفة هذه الأشكال؟